جامعة الأزهر

كلية اللغة العربية بأسيوط

المجلة العلمية

(التناص الداخلي في الخطاب البلاغي للإحياء _التناص مع القرآن أنموذجا)

Internal intertextuality in the rhetorical discourse of (revival - intertextuality with the Qur'an as an example)

إعداد

د. سوميه جمعه بغدادي دردير

بحث مستل من رسالة الدكتوراه في تخصص البلاغة والنقد الأدبي بكلية الآداب جامعة جنوب الوادي

(العدد الثالث والأربعون)

(الإصدار الثاني-مايو)

(الجزء الثاني (١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٤م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) *2536- 9083*

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٤/٦٢٧١م

(التناص الداخلي في الخطاب البلاغي للإحياء _التناص مع القرآن أنموذجا)

سوميه جمعه بغدادي دردير

قسم البلاغة والنقد الأدبي، كلية الآداب، جامعة جنوب الوادي، مصر.

البريد الإلكتروني: somaiagomaia653@gmail.com

الملخص

التناص هو الإجراء الأكثر قدرة على أن يمكننا من التعمق إلى داخل الخطاب البلاغي للإحياء في ضوء المنهج العلمي الصحيح، كما أن المتلقي من خلاله يصبح قادرا على أن يتزود بما يعينه على الإمساك بناصية البعد المعرفي والجمالي للخطاب في آن واحد، فيتبدد أمامه تلك الضبابية الموصوف بها خطاب الإمام الغزالي ؛ وذلك لأنه الأجراء الذي من خلاله نستطيع دحض هذه الاتهامات أو إثباتها_ تطبيقيا_ بولع الغزالي بالتكرار واستجلاب القصص والحكايات المتكررة في مضمونها، مما عدوه حشوا واستطرادا، كما سنتمكن من خلال التناص من معرفة ما بين هذه النصوص من علاقات ووشائج أو معاناتها واغترابها، وفي كل ذلك ستظهر كيف كانت البلاغة طائعة له في تحقيق غايته من استجلاب النصوص القرآنية وقصده المتعمد التأثير على تقبل المتلقي للخطاب بكل الوسائل المتاحة سواء كانت التناصات صريحة مباشرة أم استفادة امتصاصية .

الكلمات المفتاحية: الغزالي، التناص ،الخطاب البلاغي، إحياء علوم الدين، التماسك النصي، التكرار، المتلقي، القرآن الكريم.

(Internal intertextuality in the rhetorical discourse of revival - intertextuality with the Qur'an as an example)

somaia gomaia Baghdadi Dardir
Department of Rhetoric and Literary Criticism, Faculty of Arts, South Valley University, Egypt.
Email: somaiagomaia653@gmail.com

Abstract:
Intertextuality is the procedure most capable of enabling us to delve deeper into the rhetorical discourse of revival in light of the correct scientific method. Also, through it, the recipient becomes able to be equipped with what helps him grasp the corner of the cognitive and aesthetic dimension of the speech at the same time. Thus, the ambiguity described in Imam Al-Ghazali's speech dissipates before him. This is because it is the procedure through which we can refute these accusations or prove them - practically - by Al-Ghazali's penchant for repetition and bringing in repeated stories and tales in their content, which he considered tautology and digression. We will also be able, through intertextuality, to know the relationships and connections between these texts or their suffering and alienation. In all of this, it will be shown how eloquence was obedient to him in achieving his goal of bringing in Qur'anic texts and his deliberate intention to influence the recipient's acceptance of the speech by all available means, whether the intertexts were explicit and direct or absorbed.

Keywords: *Al-Ghazali, intertextuality, rhetorical discourse, revival of religious sciences, textual cohesion, repetition, recipient, the Holy Qur'an.*

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أما بعد:

فإن الدخول في الخطاب الصوفي عموماً وخطاب الغزالي خصوصاً أمر محفوف بالمخاطر، وهناك تحذيرات كثيرة جداً من الاقتراب من عالمه، فهو من أكثر الخطابات المتهمة بكونه من الخطابات الضبابية بمعاني غامضة وعقيدة فاسدة.

أو أنها في أحسن الأحوال للنقد أنها خطابات أرستوقراطية النزعة تقتصر على نوع معين من القراء تتقوقع عليه ويتقوقع هو أيضا عليها، ولا يملك هذا الخطاب الخروج من تلك القوقعة إلى فضاء أرحب وأكثر سعة وانتشارا بين عموم المتلقين، وهو قول عار عن الصحة من خلال الواقع الملموس مما جعل كتاب (الإحياء) محط الاهتمام بين سائر الخطابات الصوفية الأخرى، وتعلقت به عقول المؤيدين والمعارضين وانشغلت بل وانغمست في فهمه – على حد سواء.

في بحثنا هذا نحاول الدخول إلى عالم الخطاب الداخلي؛ لنستجلي ما فيها من بلاغة وجمال أثر على تقبل المتلقي لهذا الخطاب، لكن نجد أنفسنا أمام الكثير والكثير من المكونات الخطابية التي تعد علامات ومكونات فارقة في صناعة هذا الخطاب المميز، تسهيلا للبحث وحتى نعطي كل مكون حقه نقتصر على واحد من أهم هذه المكونات الخطابية في النص هو (التناص)؛ لما له من إيحاءات دلالية، ووظيفية، وأبعاد فنية، ومعرفية؛ لتلك الأمور وغيرها أصبح التناص هو الإجراء الأكثر قدرة على أن يمكننا من التعمق إلى داخل الخطاب البلاغي للإحياء في ضوء المنهج العلمي الصحيح، كما أن المتلقي من خلاله يصبح قادرا على أن يتزود بما يعينه

على الإمساك بناصية البعد المعرفي والجمالي للخطاب في آن واحدا، فيتبدد أمامه تلك الضبابية الموصوف بها خطاب الإمام الغزالي(١)

يتكون هذا البحث من ملخص ومقدمة وتمهيد يوضح من هو الغزالي وأيضا ما هو المقصود بالتناص، ثم أربعة مباحث توضح أشكال التناص مع القرآن في كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، ثم خاتمة وثبت بالمراجع.

---

(١) وتلك الاتهامات موجودة عند الكثير ومنهم أدونيس وزكي نجيب محمود في كتابه "المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري" الذي يقصر الخطاب الصوفي على البعد الجمالي بعيدا عن القيمي والمعرفي.

التمهيد

أولا: من هو الغزالي؟ مبدع الخطاب

هو أبو حامد محمد بن محمد الغزالي نسبة إلى قرية غزالة، ولد سنة ٤٥٠هـ في طوس لأب يغزل الصوف ويبيعه، ومن مهنة أبيه لقب بالغزالي أما هو "فإنه لم يكن ممن يبيع الصوف ويغزله "(١).

والغزالي أشعري شافعي انتهى به "مطاف رحلته الطويلة عبر مسالك وطرق المنطق والفلسفة والكلام بالرسّو على بر طريق التصوف وعلم المكاشفة، معتبًرا أن جميع تلك الطرق العقلية ليست صائبة"(٢).

ثانياً: ما هو التناص:

إن تحديد مفهوم التناص من أكثر ما أرهقني في هذا البحث، وكان مصدر هذا الإرهاق هو هذا التداخل والخلط وكثرة المصطلحات والأسماء الحديثة بسبب اختلاف الترجمات وتعددها، لأنه مصطلح غربي.

(ظهر لأول مرة على يد "جوليا كريستيفا" في عدة أبحاث ظهرت بين عامي ١٩٦٦و ١٩٦٧في مجلتي " Tel- quel و "critigue")(٣).

(١) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، الزبيدي ت ١٢٠٥هـ: محمد بن محمد الحسيني، المطبعة الميمنية، مصر، ١٣١١هـ،١٨/١.

(٢) المنطق الأرسطي المشائي بين الغزالي وابن تيمية، العماري: عبد العزيز، جداول، بيروت، ٢٠١٨ م، ط ١، ص ٢٥٨.

(٣) أصول الخطاب النقدي الجديد، مارك انجينو، ترجمة: أحمد المديني، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة،١٩٨٧م ، ص١١٠.

(وهو مصطلح يعود بمادته إلى مفردة لاتينية دالة على الاختلاط والنسج textuss)[١].

ولأن الخوض في غمار تحديد مفهوم مصطلح التناص وعرض كل ما قيل عنه ليس غاية في حد ذاته؛ كون دراستنا هذه دراسة تطبيقية بالأساس الأول؛ لذلك نكتفي بعرض تعريف يراه البحث جامعا إلى حد بعيد لاختلاف تعريفات النقاد لمصطلح التناص بما يخدم تحديد المقصد لهذا المبحث وهو تعريف ل "روبرت شولز" الذي يرى التناص (يحمل معاني وثيقة الخصوصية، ومبدئه العام هو أن النصوص تشير إلى نصوص أخرى مثلما أن الإشارات تشير إلى إشارات أخرى، وليس إلى الأشياء المعينة مباشرة، والفنان يكتب ويرسم ليس للطبيعة، إنما من وسائل أسلافه في تحويل الطبيعة إلى نص، لذا؛ فالنص المتداخل هو نص يتسرب إلى داخل نص آخر ليجسد المدلولات سواء وعي الكاتب ذلك أو لم يع)[٢].

والحكم على وعي الكاتب وعدمه، وتحديد نيته أثناء استجلاب نصوص أخرى تتداخل مع نصه، هو الحد الفاصل بين النقد الحديث والقديم، والعربي والغربي؛ لأن من أكثر الأمور التي كانت تدور في ذهن القدماء العرب هو الحكم على نية الكاتب في هذا التداخل، هل كان سرقة وتلفيقا أم كان دون وعي وتأثر واحتذاء لا أكثر؟ ولذلك تجد بعض علماء النقد الحديث يركزون على هذه النقطة، ويتحاملون على النقد العربي، ويتهمونه بالتقصير والإخلال، ويغفلون عن أن وظائف التناص وأشكاله في البلاغة القديمة ذكرت أكثر دقة ووعى بها؛ لأن القدماء ذكروا لكل منها تعريفا خاصا به دون ذكر المصطلح الجامع لكل هذه التفريعات، على اعتبار أنه أمر بديهي

---

(١) التضمين والتناص، وصف رسالة الغفران للعالم الآخر نموذجا منير سلطانً، الإسكندرية، منشأة المعارف، ٢٠٠٤، ص٣٨.

(٢) الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، عبد الله الغذامي، جدة، النادي الأدبي الثقافي، ١٩٨٠. ص٣٢١، ٣٢٠.

أن يكتب كل كاتب متأثر بغيره، فالأمر لديهم لا يحتاج لذكر ولكنهم ركزوا جيدا في شكل هذا التأثر ومداه وأثره وطرق عرضه وقبوله وتنافره مع النص وغير ذلك مما جعلهم يذكرون لكل وصف من هذه المعايير مصطلحا خاصا به يحدد بكل دقة درجة الإجادة أو الإساءة للاستخدام.

فالبلاغيين العرب لا يتجهون صوب نفي الوصف بأداة نفي مثلما هو مذكور في النقد الحديث مثلا: (التناص قسمان تناص جيد وتناص رديء).

بينما في البلاغة القديمة تجد الأمر أدق، هناك مثلا فرق واضح بين الاستعارة والسطو، والسرقة الخلاقة والانتحال السلبي- الاستحواذ- الاحتذاء- الاقتباس- التضمين- التلميح- التوليد- الاستدعاء- الاستحضار- التوارد - الدمج- الإغراق ومراعاة النظير- الإيغال والترقي- الإزاحة والإحلال - تلفيق المعنى - السلخ... إلى آخره من المصطلحات والمفاهيم التي ربما تجسد أشكال التناص وأقسامه ووظائفه.

بعيدا عن نقطة الحكم على نية الكاتب (التي أُسيء استخدامها لحد بعيد من البلاغيين العرب) في استحضار نصوص سابقة لنصه يمكننا أن نبسط الفرق بين التناص والسرقات والاقتباس من خلال معرفة أن التناص يرتبط بالأشياء التي لا أستطيع أن أعيدها إلى أصولها؛ لأن التناص يبحث في التشكلات المختلفة عبر العصور، فالتناص لا يبحث عن المصدر، بينما السرقات والتضمين يمكن عودتها إلى أصولها ومصادرها، وخير دليل على ذلك أن (التناص صيغة صرفية على وزن "تفاعل" بما تحمله هذه الصيغة الاشتقاقية من معاني المشاركة والتداخل بما يعني تداخل نص في نص آخر سابق عليه، ليمسي لدينا نصان: نص سابق، ونص لاحق، بينهما علاقة خاصة قد تبدأ بالمس الرفيق وتنتهي بالتمازج الكلى حتى يبدو الفصل بينهما أمرا في غاية الصعوبة)(١).

(١) التناص القرآني في الشعر العُماني الحديث" ، ناصر جابر (شبانة)، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، المجلد ٢١،٢٠٠٧م، ص٤.

ربما هذه الصعوبة في الفصل هي السبب الرئيس في صعوبة عودة النصوص المتناصة إلى أصولها، وكلما زاد اطلاع وثقافة الكاتب واتسعت لديه المعارف من مصادر متنوعة ومتعددة، كلما ازداد الأمر صعوبة؛ لأنه يجعل المتلقي_وكذا الناقد_في حيرة من أمره ترى أي علم، أو أي فن من الفنون القرائية قد تناص المؤلف منه؟ وكيف أثرت عليه قرائيته فكتب هذا النص؟ فالكتابة فعل مرتبط بالقراءة ف (كمْ من الكتاب ما كتبوا إلا لأنهم قرأوا)(١).

القراءة والاطلاع إذن هي الحد الفاصل الذي يمكننا من قنص نصوص الغزالي، وما تناص منها، وفهمها وإعادة قراءتها، وهذا أمر يعد غاية المشقة؛ لأنه على بعد الزمن بين عصرنا وعصره قد أقر أهل عصره بكثرة اطلاعه وقراءته، وهذا ما أقره السبكي في طبقاته إذ يقول: (قال أسعد الميهني لا يصل إلى معرفة علم الغزالي وفضله إلا من بلغ أو كاد يبلغ الكمال في عقله، قلت يعجبني هذا الكلام فإن الذي يحب أن يطلع على منزله من هو أعلى منه في العلم يحتاج إلى العقل والفهم فبالعقل يميز وبالفهم يقضي

ولما كان علم الغزالي في الغاية القصوى احتاج من يريد الاطلاع على مقداره فيه أن يكون هو تام العقل. وأقول لا بد مع تمام العقل من مداناة مرتبته في العلم لمرتبة الآخر، وحينئذ فلا يعرف أحد ممن جاء بعد الغزالي قدر الغزالي ولا مقدار علم الغزالي إلا بمقدار علمه أما بمقدار علم الغزالي فلا، إذ لم يجئ بعده مثله ثم المداني له إنما يعرف قدره بقدر ما عنده لا بقدر الغزالي في نفسه)(٢).

---

(١) في أصول الخطاب النقدي الجديد. أحمد المديني، ط٢.(١٩٨٩)م دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص٦٠.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت ٧٧١هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار احياء الكتب العربية _القاهرة، ٢٠٢/٦.

هنا يحق لنا الاعتراف بالقصور في المدانة له ومعرفة قدره، ولكن هذه الرغبة لدى الباحثة_ولسان الحال ناطق بالعجز وعدم المدانة_في إعادة القراءة وكشف خفايا خطابه تجعلنا لا نتوقف عن البحث عن وسائل توصلنا لفهم الخطاب وغاياته. ربما تساعد معرفة نوعية الخطاب ومقصده والفئة المبتغاة التأثير فيها من المتلقين في تحديد نوعية ومجال هذه القراءة إلى حد ما، ففي خطاب الإمام الغزالي الذي يعد بالدرجة الأولى خطاب ديني تربوي؛ لذلك تلمح من أول وهلة في تناصات الغزالي مع القرآن ،أنه يشير ضمنيا أن متلقيه لا بد من أن يكون واعيا ومطلعا بل ومتبحرا في كتاب الله وسنة رسوله الكريم (صلى الله عليه وسلم)، حتى يتثنى له فهم هذه الإشارات السريعة التي تحيل إلى قصص وحكايات طويلة، ومفصلة، ولها أثر في نفس متلقيه، مذكورة في الكتاب والسنة، أو كتب التفاسير، ويكون بهذا الاطلاع عليها في مصدرها الأول قد وفر وقتا، ومجهودا، وأصبح قادرا على فهم مقصود الخطاب من خلال ربط النص القديم بالجديد، وفهم الرسالة الخفية بين الأسطر، ومن اللافت للنظر أن أكثر من تسعين بالمائة من كتاب الغزالي الذي بين أيدينا عبارة عن استدعاء لنصوص أخرى ممزوجة ومسبوكة مع آراء وأفكار الإمام بشكل بلاغي ، يزينه جمال العبارة وسحرها الأثر على النفس.

هنا يحق لنا أن نسأل لماذا يكثر ويشيع التناص في الخطاب الصوفي؟ الصوفي كما نعلم (قد اختار هامش الحياة وهامش المعنى وهامش اللغة، إنه يمجد "الهامش" في محاولة لدحر المركزية من أجل التميز والاختلاف)(١).

(١) أسئلة المعني في الكتابة الصوفية، رسالة دكتوراه لنصيره صوالح ،جامعة ابى بكر بلقايد- تلمسان -الجزائر، عام ٢٠١١/٢٠١٢م، ص ٧.

والتناصُ إجراءٌ يساعدهُ للوصولِ إلى هدفهِ ؛ لأنَ التناصَ (يهدفَ إلى تحطيمِ فكرةِ المركزِ والنظامِ والشكلِ والمضمونِ والوحدةِ الموضوعيةِ المتوهمةِ ، فالنصُ يحتوي لآنيةِ متعددة منوعةٍ متجددةٍ متوالدةٍ بلا توقفٍ)(١).

إن قراءة نص بغياب (نصوص) يكسر وحدة النص ليفرض بدلا منها تعدديته، وتعددية النص تعني تشتيت هويته وتبديد أنظمته الدلالية والخيالية والإيحائية، بحيث تصير مرتبطة بغيرها من الأنظمة من النصوص الغائبة التي اعتمد عليها الأديب صاحب النص المدروس وقد أرجع بعض الباحثين (جوهر الاختلاف بين التناص وغيره من المفاهيم العربية، إلى أن الجوهر المؤسس للتناص "موت المؤلف"، بخلاف السرقات ونظائرها التي قامت على حياة المؤلف)(٢).

بهذه الرؤية اقتصر دور المؤلف على التجميع للنصوص السابقة وحسن عرضها معا.

إن ربط جوهر التناص بموت المؤلف، في رأي البحث، فيه منفعة وضرر. أما الفائدة فهي أن الغزالي بهذا الرأي بريء من اتهام خصومه الذين اعتبروا كتابه الإحياء مجرد سرقة لنصوص مؤلف صاحب القوت وصاحب الرسالة القشرية، وأن ذلك مجرد اختلاق لآرائهم ونسب أفكارهم إليه.

وربما قد دخلهم هذا الوهم والخلط بسبب اتفاق القالب الذي صيغت فيه هذه النصوص والمقصد والغاية له، ولكن ما هو الداعي إذن لهذا الوهم أن اختلفت القوالب النصية وتم تحويل النصوص وتعديلها؟ كأن يتم التناص من الشعر إلى النثر أو العكس ويختلف الجنس والقالب؟

(١) في نظرية الأدب، شكري الماضي، دار المنتخب العربي، بيروت، ١٩٩٣م، ص ٢٠٣.
(٢) إشكالية تأصيل الخطاب النقدي العربي التناص أنموذجاً، د. عاصم "محمد أمين" بني عامر، د. منذر ذيب كفافي، جامعة الإسراء/ الأردن، ص ٣، دون.

أما الضرر فهو الإقرار الضمني بأنه لا شخصية سوف تظهر للمؤلف سوى باعتبار كونه منسقا بين النصوص، ولا جديد سوف يقدمه إلا من خلال الاستفادة من هذا التناص.

فهل وافق الغزالي نفسه على ارتباط جوهر التناص بموت المؤلف أم لا؟ أولا أحب أن ننوه أن الغزالي في مقدمة كتاب الإحياء_الذي نحن بصدد بحث خطابه البلاغي_أقر بشكل صريح بالتناص_وإن لم يصرح باللفظ الخاص بالمصطلح_من الكتب التي قبلهِ وبين استراتيجيته في الاستفادة من هذه المتناصات قائلا: (ولقد صنف الناس في بعض هذه المعاني كتبا ولكن يتميز هذا الكتاب عنها بخمسة أمور:

الأول: حل ما عقدوه وكشف ما أجملوه.

الثاني: ترتيب ما بددوه ونظم ما فرقوه.

الثالث: إيجاز ما طولوه وضبط ما قرروه.

الرابع: حذف ما كرروه وإثبات ما حرروه.

الخامس: تحقيق أمور غامضة اعتاصت على الأفهام لم يتعرض لها في الكتب أصلي إذ الكل وإن تواردوا على منهج واحد فلا مستنكرا أن يتفرد كل واحد من السالكين بالتنبيه لأمر يخصه ويغفل عنه رفقاؤه أو لا يغفل عن التنبيه ولكن يسهو عن إيراده في الكتب أو لا يسهو ولكن يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارفا فهذه خواص هذا الكتاب مع كونه حاويا لمجامع هذه العلوم)(١).

في هذا النص المصرح بالتناص يجعل الغزالي أربعة من خمس نقاط من أهم مميزات كتابة لب التناص واستراتيجيته في التعامل معها_الغريب والمدهش للعقل هي

(١) مقدمة الإحياء ،ج.

عينها الخطوط العريضة لنظرية التناص التي طالما تعالت الأصوات الغربية والمؤيدة لها من العرب، بأنها ابتكار منهم واختراع لنظرية جديدة، وللأسف أصبح بعض العرب والمترجمين منساقين وراء هذه الصيحات حد التحامل على التراث العربي واتهامه بالتخلف، وتعددت الترجمات وكذا الرؤى لتواكب هذه التطورات والنهضة الغربية، وهي في الحقيقة موجودة مؤسسة في تراثنا فقط ينقصها البحث والتنقيب عن العناوين لهذه النظريات والاستراتيجيات التي تعامل بها القدماء مع النصوص المتناصة؛ لأننا كسالى عن صنع العناوين والمصطلحات، ونحب الاستهلاك الجاهز، والانبهار بكل ما هو غربي_وواحدة فقط من إبداعه وتفرده مما يؤكد أنه لا يربط جوهر التناص بموت المؤلف بشكل كلي، وإنما المؤلف عنده ذو عقلية موسوعية تجعله يجعل النصوص المتناصة مع عظيم أثرها ووقعها على كتاباته، لكنها ما زالت تحت إمرته وأسيرة وعيه وإدراكه، ورغم مالها من عظيم السلطة، إلا أنه قادر على تفكيكها، وإعادة تركيبها، وحل عقدها، وكشف مجملها وترتيبها، ونظمها، وإيجازها وإعادة هيكلتها، وضبطها وحذف المكرر منها، وإثبات ما تتفرد به على الرغم من أن الغزالي نفسه متهم من قبل بعض ناقديه بأنه مولع بالتكرار واستجلاب القصص والحكايات المتكررة في مضمونها، مما عدوه حشوا واستطرادا فهل سنستطيع من خلال إجراء التناص بدحض هذا الاتهام أو إثبات صحته؟ وهل سنتمكن من خلال التناص من معرفة ما بين هذه النصوص من علاقات ووشائج؟ وفي نهاية نص الغزالي السابق يظهر مدى تواضعه مع أمثاله من العلماء ويكشف أن هذا التفرد ربما كان لغيره ولكن لم يدونه في كتب وهو غاية التواضع الذي لم يحمله على إنكار كثرة نسبة ما تفرد به إلى نسبة ما تناص منه فهي نسبة واحد إلى أربعة. وفي رأي البحث أن إكثار الصوفي بعامة والغزالي بصفة خاصة من التناص المباشر وغير مباشر كان منبعه التحرر من قيود كل شيء يحرمه من التحليق في سمائه الصافية التي تخلو من الشوائب والكدر حتى لو كان هذا القيد هو حيز القالب الذي تم فيه النص الغائب مثلا لو كان من

الشعر بالتناص قادر على تحويله إلى نثر أو العكس بل هو ليس بقادر فقط على تحويل قالبه، وإنما إيجازه وتلخيصه وتكثيف معناه وأن ينسج معه نصوص أخرى تتعدى حدود الزمان والمكان الذي نسجت فيه، بل ربما هي نصوص لا يجمعها جامع أو اتفاق على علم أو فن من الفنون مجتمعا مع ذلك غايته من استجلاب النصوص قصده المتعمد التأثير على تقبل المتلقي للخطاب بكل الوسائل المتاحة؛ لذلك كله أصبحت الخطابات الصوفية تعج بالتناص بشكل لافت للنظر، فأصبحت تحتاج لقراء مثقفين لفهم دلالته وإيحاءاته، مما جعل البعض ينعتونها بأنها غامضة مضللة أرستقراطية النزعة، والحقيقة أنها تحتاج لمنهج علمي يسبر أغوارها ويوضح معانيها الخفية وما فيها من إجراءات غائبة عن نظر بعض المتلقين مثل إجراء التناص من هذا المنطلق فإن البحث في الصفحات القادمة سوف ينبني على أن التناص هو: "تشكيل نص جديد من نصوص سابقة أو معاصرة تشكيلا وظيفيا بحيث يغدو النص المتناص خلاصة لعدد من النصوص"(١).

ولأن التناص هو الإجراء الذي يتحدد من خلاله المصادر والمرجعيات والتأثير والتأثر الإحالي وتحديد منابع القراءة. سوف يقتصر البحث على التناص مع القرآن كأنموذج سأعمل فيه -بإذن الله _على الكشف عن بلاغة (التناص عن طريق المحاكاة المباشرة). وأيضا (التناص عن طريق التحوير والإشارة الإحالية) والعلاقات التي انبنت بين النصوص السابقة واللاحقة وكيف أجاد الغزالي أو أساء في توظيفها وهل أثر ذلك على تقبل المتلقي للخطاب.

---

(١) التناص ومرجعياته في نقد ما بعد البنيوية في الغرب، خليل موسى، مجلة الآداب العالمية، العدد ١٤٣، اتحاد الكتاب العربي، ٢٠١٠ م ص٤٥.

تناص الغزالي مع القران

القرآن دوما هو المعين الذي لا ينضب لكل من اطلع عليه وتمعن في قرأته، فيؤثر على سلوكه وأخلاقه أيما تأثير، لا سيما لو اكتمل اطلاعه وقرأته بإيمان تام وكامل بكل ما فيه، يتحول هذا الإيمان والاندماج القلبي والعقلي بكل ما في هذا الكتاب إلى آثار واضحة ملموسة تظهر بشكل واضح أو خفي إلى حد ما عند الكتاب والمبدعين من خلال استلهام أو استحضار الشخصيات، أو رونق الألفاظ، أو الأساليب، وما إلى ذلك مما يضمن به الكاتب لنفسه حضورا وتميزا غير عادي يكسب خطابه قبولا لدى متلقيه، وخصوصا أن الغزالي لم يكتف بالنظر أو الوقوف على حدود ينابيع القرآن، بل شرب منها حد الارتواء، وكان التناص أداته لذلك.

وتتعدد أشكال التناص مع القرآن عند الغزالي ويأتي الأغلب الأعم من تناصاته عبارة عن:

١_استشهاد مدعم لآرائه وقضاياه بشكل واضح وصريح والذي يأخذ شكل المقتبسة_وهو كثير جدا-.

٢- الاستفادة الامتصاصية من القرآن وتأخذ شكل المضمن بألفاظ مقاربة وله دلالات مختلفة إلى حد ما ويظهر فيها تلك الاستفادة الامتصاصية من القرآن.

٣_الإحالات للنص القرآني بما يدل عليه ومنها الإشارات للقصص والعبر المذكورة في سور القرآن بشكل مفصل.

٤_التناص التفاعلي الذي يضيف الغزالي فيه ذاته إلى النص، وهو يفضي إلى أحكام وتأويل معين ويستلزم معه معرفة كتب التفاسير وقول العلماء فيها، بل وأيضا في أحيان كثيرة يستوجب الأمر معرفة شاملة بالكتب السماوية والإسرائيليات.

١_استشهاد مدعم لآرائه وقضاياه بشكل واضح وصريح والذي يأخذ شكل

المقتبسة_وهو كثير جدا-.

ولقد كان نهج الغزالي مع تناصه القرآني واستشهاده المدعم لآرائه وقضاياه يأتي متزاحما، ويتضافر بعضه مع بعض في هذا المبحث المنعوت بحقيقة الصفة عنوان الباب الذي يتناوله بالشرح سواء كانت من المهلكات أو من المنجيات هذا على إجمال الأمر، أما على تفصيله وتخصيصه، فيبدوا من اللافت للنظر أن هناك فكرة جوهرية تسيطر على ذهن الإمام ، وتحدد نوعية اختياراته لهذه النصوص دون غيرها، وتكون هذه الفكرة هي الأكثر قدرة على ترغيب المتلقي (إن كانت من الصفات المنجية)، أو تخويفه من هذه الصفة (إن كانت من الصفات المهلكة).

من هنا يكتسب الشاهد حجاجية وقدرة على الإقناع من نوع خاص.

وجدير بالذكر أن هذا الاستشهاد برز بصورته المباشرة بشكل جلى ومتكرر في ربع المهلكات أكثر من ربع المنجيات، وليس هذا لأمر قاصر على المقدمة للخطاب_كما سبق ووضحنا_بل هو ممتد أيضا إلى متن الخطاب وذلك مثل حديثة في كتاب (ذم الغضب، والحقد، والحسد) وهو الكتاب الخامس من ربع المهلكات، وهو يشرح حقيقة الحسد، ويفرق بينه وبين الغبطة، ويرجح أن تكون المنافسة بمعنى الغبطة على اختلاف الشائع من إطلاقها بمعنى الحسد،، ويوضح للقارئ أنهما مختلفان في الحكم الشرعي والنتائج المترتبة على كل منها.

نجد الغزالي في إثبات حرمة الحسد يدور مع تناصاته حول أبشع نتائج الحسد التي تغيرا مسار الإنسان من جنة إلى نار، من إيمان إلى كفر، من طاعة إلى معصية، وحتما أشهر هذه النتائج على الإطلاق وأعمقها في نفس الغزالي هو كفر أهل الكتاب بنبوة سيدنا محمد (عليه الصلاة والسلام)، ليس لجهلهم ولكن حسدا منهم؛ لأنه من ولد إسماعيل (عليه السلام)، وليس من بني إسرائيل.

فيقول الغزالي: (ويدل على تحريم الحسد الأخبار التي نقلناها، وأن هذه الكراهة تسخط لقضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض، وذلك لا عذر فيه، ولا رخصة، وأي معصية تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير أن يكون لك منة مضرة، وإلى هذا أشار القرآن بقول (إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها)(آل عمران، الآية ١٢٠)، وهذا الفرح شماتة والحسد والشماتة يتلازمان، وقال تعالى: (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم)(البقرة، الآية ١٠٩)، فأخبر تعالى أن حبهم زوال نعمة الإيمان حسد، وقال عز وجل: (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء)(سورة النساء،الآية٨٩)... وقال تعالى: (ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا)(الحشر،الآية٩) أي لا تضيق صدورهم به، ولا يغتمون فأثنى عليهم بعدم الحسد، وقال تعالى: في معرض الإنكار: (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله)(النساء الآية٥٤)، وقال تعالى: (كان الناس أمة واحدة... إلى قوله... إلا الذين أتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم)(البقرة،الآية٢١٣) قيل في التفسير حسد، وقال تعالى: (وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم)(الشورى، الآية ١٤)، فأنزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته، وأمرهم أن يتألفوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا إذ أراد كل واحد منهم أن ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض، قال ابن عباس: (كانت اليهود قبل أن يبعث النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا قاتلوا قوما قالوا نسألك بالنبي الذي وعدتنا أن تنزله إلا ما نصرتنا)، فكانوا ينصرون.

فلما جاء النبي -صلى الله عليه وسلم- من ولد إسماعيل عليه السلام عرفوه، وكفروا به بعد معرفتهم إياه فقال تعالى:: (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به إلى قوله إن يكفروا بما أنزل الله بغيا) (البقرة،الآية٨٩) أي حسد، وقالت صفية بنت حيي للنبي -صلى الله عليه وسلم- جاء أبي وعمي من عندك يوما فقال أبي لعمي: ما تقول فيه قال أقول إنه النبي

الذي بشر به موسى قال: فما ترى قال: أرى معاداته أيام الحياة)[1].

فكما نرى على تعدد هذه الشواهد إلا أنها تدور كلها على نوع معين من الحسد_وهو أفظعه_وهو الذي يحمل الإنسان علي الكفر، ولا يبالي أن يلبث في نار جهنم خالد فيها بسبب جحوده وحسده المهلك هذا.

إن اختيار هذا النوع من الحسد دون غيره؛ ليبرزه الغزالي للمتلقي بشكل أوضح ليس صدفة ،بل هو من باب الترهيب للنفس الإنسانية من مغبة هذه الصفة المهلكة؛ لأن الحسد يبلغ بها حد الكفر.

وقد طوع الغزالي هذه النصوص المتناصة جميعا؛ لتخدم فكرته وتظهر حسد بني إسرائيل لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ومن ذلك التطويع أنه خصص العام في قوله تعالى: (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله)، (فالناس هنا المقصود بها سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) جمع ولم يفرد؛ لأنه المثل الأعلى للإنسانية)[2].

ثم ما لبث الغزالي أن يأتي بتناص جديد من السيرة والسنة النبوية علي لسان ابن عباس، والسيدة صفية يدعم تخصيصه هذا، فيخلق هذا المزيج من النصوص المتناصة لدى المتلقي مزيدا من الرهبة والخوف من أن تكون بقلبه هذه الصفة المهلكة وهو عين المطلوب.

وتناصات الغزالي مع القرآن كاستشهاد مدعم كثيرة بلا حصر كلها أو جلها لها غايات في نفسه تعمل على التأثير على المتلقي أيما تأثير.

---

(١) الإحياء٢/٢٣٩.

(٢) أنواع الخطاب القرآني بعلم العام والخاص، خوله مهدي شاكر، محاضرة في جامعة الكوفة، كلية الفقه لنيل الترقية ص٣، دون ت.

٢- الاستفادة الامتصاصية مع القرآن

وتأخذ شكل المضمن بألفاظ مقاربة وله دلالات مختلفة إلى حد ما، ويظهر فيها تلك الاستفادة الامتصاصية من القرآن

ويستعمل الغزالي التناص كأداة لمزيد من الاختصاص، وإظهار التركيز على مقصد خطابه عن طريق تكنيك التحوير للآيات، وتطويعها لخدمة خطابه مثل قوله في كتاب (الغرور): (وبيان الفرق بين الرجاء والغرور، ويقرب منه غرور طوائف لهم طاعات ومعاص إلا أن معاصيهم أكثر، وهم يتوقعون المغفرة ،ويظنون أنهم تترجح كفة حسناتهم مع أن ما في كفة السيئات أكثر ،وهذا غاية الجهل)(١).

وهو كما نرى تناص وإشارة لقوله تعالى:(قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) (الكهف، الآية ١٠٤)، وهذه الإشارة لنص الغزالي تشكل حالة تناصية متكاملة أو مسترسلة ؛لأنها تعد أيضا شرحاً ،وتوضيحاً ،ومضرباً للمثل ،كما إن فيها دلالة تخصيص لمن ينطبق عليه وصف الأخسرين أعمالا بأنه لفئة المغرورين بطاعاتهم المتناسين لمعاصيهم.

وهذا التخصيص يفيد الخطاب، ويساعد على وصول الغاية منه؛ لذلك جعل الغزالي المثال على النص الغائب كحجة ودليل، وبسط تفصيلي لحال هؤلاء الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعا؛ ليؤكد هذا التخصيص عن طريق التمثيل لا التخييل (فالتمثيل إقناع ذو تأثير فكري، وللتخييل التأثير النفساني؛ إذ التخييل لا يوقع تصديق بشيء لكن يوقع في النفس: (الانبساط أو الانقباض)(٢).

---

(١) الإحياء ٤٧٧/٢.

(٢) التقنيات الحجاجية في رسالة كيمياء السعادة المنسوبة للغزالي، ص١٧٢٣.

والمتلقي في هذه اللحظات الحاسمة من الخطاب يحتاج دليلا يحمله علي التصديق بأن حالهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا مقرونا بالغرور، فالمغرور ينظر إلى محاسنه، ويترك المساوئ بل ربما لا يعترف بها من الأصل؛ لذلك كان من حسن النسج والتركيب مع النص الغائب هذا المثال إذ يقول الإمام

(ومنهم من يظن أن طاعاته أكثر من معاصيه ؛لأنه لا يحاسب نفسه ،ولا يتفقد معاصيه ،وإذا عمل طاعة حفظها ،واعتد بها كالذي يستغفر الله بلسانه أو يسبح الله في اليوم مائة مرة ثم يغتاب المسلمين، ويمزق أعراضهم، ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد، ويكون نظره إلى عدد سبحته أنه استغفر الله مائة مرة ،وغفل عن هذيانه طول نهاره الذي لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة أو ألف مرة ،وقد كتبه الكرام الكاتبون ،وقد أوعده الله بالعقاب على كل كلمة فقال ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد.

فهذا أبدأ يتأمل في فضائل التسبيحات ،والتهليلات ،ولا يلتفت إلى ما ورد من عقوبة المغتابين، والكذابين، والنمامين، والمنافقين يظهرون من الكلام ما لا يضمرونه إلى غير ذلك من آفات اللسان، وذلك محض الغرور، ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه أجرة النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذي زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته، وما نطق به في فتراته كان يعده ويحسبه ويوازنه بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه أجرة نسخه.

فيا عجبا لمن يحاسب نفسه ويحتاط خوفا على قيراط يفوته في الأجرة على النسخ، ولا يحتاط خوفا من فوت الفردوس الأعلى ونعيمه، ما هذه إلا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها.

لقد دفعنا إلى أمر إن شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين، وإن صدقنا به كنا من الحمقى المغرورين، فما هذه أعمال من يصدق بما جاء به القرآن، وإنا نبرأ إلى

الله أن نكون من أهل الكفران فسبحان من صدنا عن التنبه واليقين مع هذا البيان، وما أجدر من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة، والغرور على القلوب أن يخشى، ويتقي، ولا يغتر به اتكالا على أباطيل المنى، وتعاليل الشيطان، والهوى والله أعلم[١].

الغزالي جعل في المثال المصدق لتخصيصه، العضو الذي يصدر منه المعصية والطاعة هو (اللسان)؛ ليكون قريبا للذهن أن المقياس لم يتغير فيضيق الخناق علي من يتبع هواه في عدم مساوة هذا الفعل بذاك، وليخرج أيضا من الاتهام بإساءة الظن لما في قلبه، والله يعلم السر وأخفي، لذا يكفي في التصديق أن يجعل الأمر علي ظاهره، فاللسان ينطق بالتسبيح وجميل الذكر المحمود بعدد محدود يعيه ويستكثره ويري فيه حسن.

وبالمقابلة والتضاد اللسان أيضا يغتاب الناس ويكذب ويفتن ويوقع بين الناس البغضاء دون أن يعد ويحصر ويستقبح فعله .

والجمع بين النقيضين محال أن يكون في كليهما صادقا؛ لذلك هو يدلل بنص مباشر أن حاله للذكر والتسبيح هو الذي يكون فيه غير صادق؛ لأنه يبغي بالتسبيح والذكر مغفرة ودرجه والله سيحاسبه علي كل ما ينطق به من كذب وغيبه بدليل قوله (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد)، أصبح إذن هذا المغرور محاسب معاقب أكثر من أنه معفو عنه، ما السبيل لعلاجه وهذا حاله؟

يتابع الغزالي خطابه مستفيدا من بلاغة التناص وما فيه من إمكانية للتميز والتكثيف الدلالي، مقترحا لعلاج مادي يكبح جماح غروره، فيقول:(ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه أجرة النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذي زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه) ،هنا نرى الغزالي أحسن التوظيف للنص

---

(١) الإحياء ٢/٤٧٧.

باستخدامه للقسم وذلك ليؤكد أنهم أساءوه فهم رحمة الله وعدم توقفهم عن الكلام إلا بعقوبة أو غرامه وهذا فيه استنكار وتنفير من حصر حالهم في هذه الدونية.

وأيضا استحضار واستثمار من الغزالي لقوله تعالى :(ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون) (سورة الروم الآية ٢٨).

فهذا الخوف من أن يشاركهم أحد في أموالهم_حتى لو كان أجر الكتبة_قادرا على كفهم ومنعهم عن تلك الأمور المهلكة، وللأسف لم يمنعهم خوفهم من عذاب الله وغضبه، لهذا يعبر الغزالي عن أسفه وحسرته بقوله (ما هذه إلا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها) ولكنه لا يكتفي بالوقوف متفرج كواصف للمشكلة، بلا أنه ينهج النهج العلمي ويحددها، ويبرز أثارها عليهم، وعلى المجتمع أيضا معظما ضرر هذا الغرور؛ لأنه سيصبح فتنة مستحضرا لقوله تعالى: "والفتنة أشد من القتل"(سورة البقرة، الآية ١٩١) ليتناص منه في خطابه بقوله (ما هذه إلا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها لقد دفعنا إلى أمر إن شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين، وإن صدقنا به كنا من الحمقى المغرورين) (قال أبو جعفر، وابتلاء المؤمن في دينه حتى يرجع عنه فيصير مشركا بالله من بعد إسلامه، أشد عليه، وأضر من أن يقتل مقيما على دينه متمسكا عليه، محقا فيه [(١)].

لهذا يناسب الغزالي بين نصه الغائب، والحاضر مضيفا ذاته إلى النص، ويعلن تبرؤه من فعلهم ويسأل الله الثبات من أن يلم بقبله مثل هذا الغرور في قوله (وإنا نبرأ إلى الله أن نكون من أهل الكفران)، وينهي الغزالي كلامه باعتباره خطاب ديني

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ)، تحقيق محمود محمد شاكر، دار التربية،والتراث - مكة المكرمة، دون،٥٦٥/٣.

في المقام الأول بالتذكرة، والنصح لمن يمارس هذا النوع من الغرور قائلا: (وما أجدر من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والغرور على القلوب أن يخشى ويتقي، ولا يغتر به اتكالا على أباطيل المنى، وتحاليل الشيطان، والهوى، والله أعلم)

ومثله قوله في كتاب ذم الغرور (بل العالم عالمان عالم الأمر، وعالم الخلق، ولله الخلق، والأمر)[١] وهو تناص من قوله تعالى: (ألا له الخلق والامر) ،وغيره كثير.

ويمتص الغزالي قوله تعالي (إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (سورة الأنفال، الآية ٤٣)، ويستحضره في ذهنه ليأتي به تناصا غير مباشر في قوله في كتاب ذم الغرور: (فهذا وأمثاله من خفايا القلوب لا يفطن له إلا الأكياس، ولا يتنزه عنه إلا الأقوياء، ولا مطمع فيه لأمثالنا من الضعفاء إلا أن أقل الدرجات إن يعرف الإنسان عيوب نفسه، ويسوءه ذلك ويكرهه ويحرص على إصلاحه فإذا أراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مرجو الحال وأمره أقرب من المغرور المزكي لنفسه الممتن على الله بعمله، وعلمه الظان أنه من خيار خلقه فنعوذ بالله من الغفلة والاغترار، ومن المعرفة بخفايا العيوب مع الإهمال)[٢].

فالغزالي بدأ أولا بالتعظيم لمن يتنحى عن صفات الغرور، ويتواضع مع خلق الله بالإقرار بالفطنة، والكياسة، وشهد بالتنزه والقوة لمن تخطي هذه المرحلة، وحتى لا ينعزل عن متلقيه، ويلقي خطابه من برج عاجي، عمل على مشاركته الشعور بأن الوصول لهذه المرحلة: (لا مطمع فيه للضعفاء أمثالنا)، وأن يجمع نفسه والمتلقي

---

(١) الإحياء ،٢/٤٧٠.

(٢) الإحياء، ٢/٤٨٣.

في حال الضعف براعة تضمن له المقبولية من المتلقي، ثم تجعله مطمئنا عن طيب مقصد تناصه من القرآن وهو يوازن بين معرفة عيوب النفس، وأضرارها، وبين معرفة عدد العدو وسلاحه وتجهيزاته ومواطن ضعفه وقوته، ويجعل طريقة التعامل مع النفس هي طريقة تعامل الله في قرأنه الكريم مع العدو.

فالله سبحانه وتعالى أراهم للنبي في منامه قليلا، وبين العلة وراء ذلك ليعمل على كسر حاجز الخوف والرهبة من العدو وأن يكون لهم عليهم سلطان نفسي يدعوهم للقنوط والإحباط والتكاسل عن مواجهتهم وهو ما أسماه بالفشل، يعمل الغزالي عن طريق التناص علي إسقاط كيفية هذا التعامل من الله على حالة الإنسان ونفسه_والتي يعدها الغزالي أعدى أعداء الإنسان_فيجعل معرفة عيوب النفس هي أقل القليل الذي لا بد إن يتحصن به الإنسان وهذه المعرفة والمواجهة لعيوب النفس ليست ببعيدة المنال ولا ثقيلة عظيمة على النفس بل هي على حد قوله: (أقل الدرجات إن يعرف الإنسان عيوب نفسه)، وهذه الاستراتيجية في التناص تجعل المتلقي يستجيب للخطاب؛ لأنه عمل على كسر هاله مشقة معرفة عيوب النفس وأصبحت في عينه وعقله هي أقل الدرجات التي تميزه عن البهائم؛ لذلك هذا التقليل سيجعله مذعنا بضرورة معرفة عيوب نفسه والعمل على اصلاحها.

ولأن الغزالي يحدد نوع متلقي خطابه وأنه لكل من يراد إصلاحه، وليس لمبارزة علمية، وخطاب قاصر على فئة العلماء، والفقهاء يحدد، ويحصر الغزالي درجة العمق، والخفاء في كتابه فكثيرا ما نراه بعدما يشير إشارة خفية للنص القرآني أو غيره من النصوص السابقة لا يرضى أن يشيع وهم هذا الخفاء في عقل متلقيه فيكشف أستار الخفاء، ويبدد ظلماتها، وعمقها بأن يأتي بأية صريحة أو ما يشبه الدليل على كلامه أو سمة علامة أو أي أمر يساعد في تحديد مراده دون غيره ومثل ذلك ما نراه من هذا التمازج الخلاق والمولد لنص جديد الذي له سمات تأثيرية يظهر فيها الغزالي حرصه علي إقناع المتلقي بشتى الوسائل وبسيل ومزيج متناسق من

التناصات فالباب باب صبر وشكر وكيف للإنسان أن يتقبل مرارة الصبر ولا يغفل عن أداء حق النعم بالشكر إلا إذا كانت هناك ضرورة نفسية ملحة تجبره أن يعدل من سلوكه فيصبر ويشكر؟ وهل هناك شيء أعظم أثرا من أن يعرف أن كل حياته إلى زوال سوى ما يبقى في اليوم الآخر_الذي لا بد من أن يؤمن به_من صبره وشكره هذا؟ بهذا الوعي نراه يقول في كتاب: (الصبر والشكر) (فالمقر بالقيامتين مؤمن بعالم الغيب والشهادة وموقن بالملك والملكوت والمقر بالقيامة الصغرى دون الكبرى ناظر بالعين العوراء إلى أحد العالمين، وذلك هو الجهل، والضلال، والاقتداء بالأعور الدجال فما أعظم غفلتك يا مسكين، وكلنا ذلك المسكين، وبين يديك هذه الأهوال فإن كنت لا تؤمن بالقيامة الكبرى بالجهل، والضلال أفلا تكفيك دلالة القيامة الصغرى؟)[١].

وربط الإيمان بيوم القيامة بوصف المسيخ الدجال هو ما امتصه الإمام الغزالي من فهمه لقوله تعالى: "يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها"(الأنعام ،الآية ١٥٨) ممزوجا بتفسير ذلك اليوم وما فيه من أهوال بحديث المصطفي عليه الصلاة والسلام وقد ذكر في: (صحيح مسلم من طريق أبي حازم عن أبي هريرة رفعه ثلاث إذا خرجن لم ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض)

ولعل سر اختياره للأعور الدجال دون غيره_بالإضافة لكونه يعد أمرا محسوسا للمنكر للقيامة أن يشعر بهذا الخلل في الرؤية وعدم تمامها ووضوحها كما الحال عند الأعور الذي ينظر للأمور نظرة قاصرة ومجهدة بعين واحدة_من أهوال القيامة قد أجاب عنها ابن حجر العسقلاني فلقد ذكر ابن حجر تفسيرا لذلك بقوله (وقال ابن

---

(١) الإحياء ، ص٤/٨٢.

عطية: في هذا الحديث دليل على أن المراد بالبعض في قوله- تعالى- يوم يأتي بعض آيات ربك طلوع الشمس من المغرب [ص: ٣٦١] وإلى ذلك ذهب الجمهور... قلت ثبت في صحيح مسلم من طريق أبي حازم عن أبي هريرة رفعه ثلاث إذا خرجن لم ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض قيل فلعل حصول ذلك يكون متتابعا بحيث تبقى النسبة إلى الأول منها مجازية وهذا بعيد لأن مدة لبث الدجال إلى أن يقتله عيسى ثم لبث عيسى وخروج يأجوج ومأجوج كل ذلك سابق على طلوع الشمس من المغرب فالذي يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض وينتهي ذلك بموت عيسى ابن مريم وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة، ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب)[1].

فلقد أثر تناص الغزالي ومزجه للنص الغائب مع النص الحاضر في النصوص التي تلته، والذي يدل علي الاستباقية في الفهم، وحسن توظيف ما امتصه من كلام رب العزة وربطة بكلام رسوله الكريم المفسر والموضح لما غمض منه فهم ابن حجر العسقلاني، وتأييده لربط الغزالي بمعنى الآية، وحديث الرسول، وكذا أسبقية الخروج للدجال في قوله: (إن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض).

فكما نرى لم يكتفي الغزالي بعد إشارته إلى وصفه الخارجي والداخلي على الرغم من شهرة العين العوراء أنها للمسيخ الدجال فجاء مصرحا باسمه ومحذرا من أن

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ احمد بن حجر العسقلاني، دار طيبة، ط٢٠٠٥م،١٤٢٢هـ، كتاب الرقاق ج١٤/٦٩١.

يقتدى الإنسان به حتى ينعكس وصفه خارجيا وداخليا على إيمانه فيؤمن بالقيامة الصغرى وينكر الكبرى، وحتى يضمن الغزالي تمام التمازج بين نصه، وما يتناص معه يستعين بالتجانس الصوتي الحادث من هذا الجناس في قوله: (وذلك هو الجهل، والضلال، والاقتداء بالأعور الدجال) لما يعلم ماله من أثر في نفس متلقيه فيظهر النص المولد لحمة واحدة ليس فيها نشاز، فتجذب المتلقي لسماعه دون نفور، ويكمل الغزالي حسن هذا التركيب بألا يكتفي بضمان انجذاب المتلقي إلى الخطاب بأذنه، وحسه الموسيقي فقط، ولكنه يجذب إليه بعقله ويستهويه بشعور المشاركة في حاله بقوله: (فما أعظم غفلتك يا مسكين وكلنا ذلك المسكين) يبث الغزالي في عقل متلقيه شعور أنه ناصح أمين يخاف عليه من تمثل صفات الأعور الدجال، والاقتداء بها، وحتى يضمن عدم نفوره من تقلد الغزالي لدور الناصح الأمين يقول جملة اعتراضية ترفع عنه هذا الوصف وتضمن له الإنباء من وصف التعالي والغرور الذي يصيب أغلب الناصحين في زمنه، فيقول له مشاركا حاله:_ وكلنا ذلك المسكين_فنرى حسن تخلص الإمام من كل ما ينفر المتلقي من خطابه، ويضمن نجاحه، وبلوغه أكبر الأثر على نفسه، وخصوصا أنه ربع منجيات لا بد فيه من الترغيب والبعد عن الترهيب.

ولأن هذا النهج منه لا يأتي عفوا الخاطر يختم تلك الفقرة من خطابة باستفهام تقريري معاتبا: (فإن كنت لا تؤمن بالقيامة الكبرى بالجهل والضلال أفلا تكفيك دلالة القيامة الصغرى؟) بهذا الاستفهام يستثمر الغزالي كل تلك الحيل والمناورات الفكرية والتلاعب بالأدوات البلاغية؛ ليحمل المتلقي حملا على الإقرار بصحة ما ذهب إليه الغزالي في خطابه، وهو المطلوب إثباته.

وكثيرا ما يمزج الغزالي بين التصريح والتضمين وربما الشرح والتأويل للآيات كما في قوله :(فقد كان الناس في الإعصار الأول يواظبون على العبادات ويؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون يخافون على أنفسهم وهم طول الليل

والنهار في طاعة الله يبالغون في التقوى والحذر من الشبهات والشهوات ويبكون على أنفسهم في الخلوات)[1].

فقوله (ويؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون) هو تناص صريح مع قوله تعالى: (والَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وقُلُوبُهُمْ وجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ) (سورة المؤمنون ،الآية ٦٠) أما عن ما تلاه الغزالي لهذا التناص الصريح والمقدم للقارئ عبر تقنية التحوير فكان تناصاً ضمنياً من قوله تعالي (أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وهُمْ لَهَا سَابِقُونَ) (سورة المؤمنون ،الآية ٦١).

فهذا التضمين على الأرجح شرح وتوضيح لوصف هؤلاء المؤمنون بما يخدم مقصد الغزالي من خطابه، فالغزالي يريد أن يوصل لمتلقيه أن المسارعة في الخير والاستباقية التي تضمن للمؤمن الرجوع الأمن الى الله تعالي يوم القيامة إنما كانت بعدم الإغترار والخوف على النفس بالرغم من دوام الطاعة المتصل ليل نهار، والمبالغة بالتقوى، وأيضا بالبكاء على النفس في الخلوات.

وهذا البكاء والتصريح بضرورة الخلوة بالنفس هو عين رسالة الصوفية، وبهذا المزج يكون الغزالي قد حقق أعلى استفادة من النص الغائب واستخلص منه ما يوائم مقصده من خطابه ويكون له هيمنة على نفس متلقيه؛ لما لهذا الغائب الحاضر من قدسية في نفسه .

---

(١) الإحياء٢/ ٤٧٦.

٣_ الإحالات للنص القرآني بما يدل عليه ومنها الإشارات للقصص والعبر المذكورة في سور القرآن بشكل مفصل.

مثل قول الغزالي في كتاب (ذم الغرور) من ربع المهلكات (فإن منشأ هذا الغرور الجهل بالله وبصفاته فإن من عرفه لا يأمن مكره ولا يغتر بأمثال هذه الخيالات الفاسدة وينظر إلى فرعون وهامان وقارون وإلى ملوك الأرض وما جرى لهم كيف أحسن الله إليهم ابتداء ثم دمرهم تدمير).

الغزالي هنا يطلب من متلقيه إعادة النظر والاعتبار بقصص وردت في القرآن تفصيلا، وكونه باب مهلكات فلقد جعل الغزالي عاقبة هؤلاء المشار إليهم سببها هو (الغرور) وهو موضوع الخطاب الذي يدور في فلكه، وللقارئ أن يتأكد من ذلك بنفسه حينما يعود لقراءة تلك القصص في مصدرها الأول الذي أشار إليه.

ومعلوم أن (هذا التحويل للنصوص السابقة لا يكون في مستوى إبداع راق إلا إذا جعل الأديب نصوصه الجديدة تحيل في إلماع خاطف وإيماء مضمر على النصوص الغائبة، حتى توخز فضول المتلقي ، وتحفزه لخوض مغامرة البحث عنها ورصدها)(١).

حينما يبحث المتلقي سيكون حتما في ذهنه_ وإن تعددت الأسباب لاستحقاقهم العذاب_ هذا السبب الذي قرأه وخصص به الغزالي مصيرهم وسيبقي عالقا في الذهن ليؤول ما أل إليه هؤلاء وغيرهم من دمار وهلاك بأنه بسبب الغرور؛ لأنها القراءة الأولى والتعليل الأول الذى أحاله من خلال هذه الإشارات لأمور شتى ،فبكارة السبب

(١) تناص الخطاب الصوفي والإسلامي في ديوان" أسرار الغربة " لمصطفى الغماري، خديجه كروش، رسالة ماجستير ٢٠١٢م، جامعة الحاج لخضر باتنة، ص٤.

الأول في عقله يظل لها بريق وسطوة على النفس ،هذه السطوة تجعله يتماهى ويندمج مع خطاب الغزالي أيما اندماج ،وتحقق مقصده بكل سهولة .

٤_ التناص التفاعلي الذي يضيف الغزالي فيه ذاته إلى النص وهو يفضي إلى أحكام وتأويل معين ويستلزم معه معرفة كتب التفاسير وقول العلماء فيها بل وأيضا في أحيان كثيرة يستوجب الأمر معرفة شاملة بالكتب السماوية والإسرائيليات.

مثل قول الغزالي في كتاب ذم الغرور (الحمد لله الذي بيده مقاليد الأمور وبقدرته مفاتيح الخيرات والشرور مخرج أوليائه من الظلمات إلى النور ومورد أعدائه ورطات الغرور والصلاة على محمد مخرج الخلائق من الديجور وعلى آلة وأصحابه الذين لم تغرهم الحياة الدنيا ولم يغرهم بالله الغرور صلاة تتوالى على ممر الدهور ومكر الساعات والشهور)[١] .

نري الإمام كل كلمة من كلمات هذا الاستفتاح مرجعها اللغوي هو القرآن الكريم فقوله (الحمد لله الذي بيده مقاليد الأمور وبقدرته مفاتيح الخيرات والشرور) تناص مع قول الله تعالي (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)(سورة الشورى، الاية ١٢).

ومن الجميل إشارة الزبيدي خلال شرحه للإحياء وهو يوضح مدى فهم الغزالي لكتاب الله تعالى وتعمقه في تفسيره، وكيف استطاع أن ينمى ويطوع هذه المعرفة ليخلق نص جديد له نسجا محكما غاية الإحكام والدقة والإبداع من الكاتب ويوضح الزبيدي الآلية التي نمت من خلالها تدخلات النصوص وتشكلاتها فقال شارحا: (الحمد لله الذي بيده مقاليد الأمور) أي مفاتيحها جمع إقليد بالكسر معرب... وبه

(١) الإحياء، ربع المهلكات ص ٤٦٦.

فسر مجاهد قوله تعالى: (له مقاليد السماوات والأرض) (الزمر: ٦٣) فقال أي مفاتيحها. وقال السري: أي خزائنها ،فهذا قد فسر المقاليد بالخزائن .ويؤيده قوله تعالي: (لله خزائن السماوات والأرض) (المنافقون: ٧٠) وأحسن ما فسر القران بالقرآن .... وفي الجملتين مزيد دلالة علي الاختصاص ، لأن الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها إلا من بيده مفاتيحها)[١].

فلقد أشار الزبيدي أولا أن الغزالي في جملته الأُولى (الحمد لله الذي بيده مقاليد الأمور) تناص مع قول الله تعالى: (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ والْأَرْضِ)، ثم أردف موضحا أن الغزالي جمع بين المعنى وتفسيره بقوله (فهذا قد فسر المقاليد بالخزائن) ثم أيد وبارك فهم الغزالي والسري بأن أتى بدليل يؤكد صحة ما ذهبوا إليه من القرآن، وعلق قائلا: (وأحسن ما فسر القرآن بالقرآن) ثم بين كيف دمج الغزالي بين النص وتفسيره في جملة واحدة، وبين العلاقة القائمة بين النص القرآني، وبين نص الغزالي الجديد بأنها علاقة الاختصاص، وفسر قناعته تلك (لأن الخزائن لا يدخلها، ولا يتصرف فيها إلا من بيده مفاتيحها)، وبهذا أصبح نص الغزالي مساهما موضحا لما خفي من النص القرآني وقدرته على التأثير، والاستفادة من أنه جعل من القرآن مرجعا لغويا لكتاباته في الإحياء.

ثم نرى الغزالي يتناص فى الجملة التالية لها مع قوله تعالى: (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) (سورة البقرة ٢٥٧)

وهنا يعمل في نصه الجديد على الإيجاز والتكثيف الدلالي بأقل عدد من الكلمات وذلك لربط الكلمات ببعضها البعض، وأيضا لمراعاة الفواصل والتناغم الصوتي، كما سبق شرحه في موضوع عتبة الاستفتاح.

(١) إتحاف السادة المتقين، طبعة دار الكتب العلمية ص٤٠٤،٤٠٣.

ثم يقابل حال المؤمنين بحال أعداء الله في قوله (مخرج أوليائه من الظلمات إلى النور ومورد أعدائه ورطات الغرور) وهو تناص مع قوله تعالي (فأوردهم النار وبِئْسَ الوِرْدُ المَورودُ) ﴿ سورةهود، الآية ٩٨﴾.

وهذا التناص يعود بنا لقصة قوم فرعون الذين أطاعوه في معصية الله فأوردهم النار جزاء لهم ؛لأنهم عبدوا غير الله ،ويضعنا أيضا أمام صورة هؤلاء المجرمين في قوله تعالى: (ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) ونرى الغزالي في نصه الجديد قد علل سر إجرامهم هذا بأنه راجع الى الغرور (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا).

فالغزالي يرجح بتناصه الفريد خلاف ما ذهب إليه عبد بن حميد وابن الأنباري والبيهقي عن الحسن: إن المعنى للورود المرور عليها من غير دخول، وروي ذلك أيضا عن قتادة، قاله الألوسي وذلك لأن مقابلته تشي بأن الخروج لأوليائه من كدر الظلمة إلي النور يقابله دخول أعدائه عوالم الغرور المظلمة والتورط والتوغل فيها وليس مجرد مرور عابر من غير دخول وهذه اللفتة البلاغية تفيد تكثيفا وتوضيحا جميلا للمعاني والتفسيرات صنعه الغزالي من خلال التناص، وأحكم النسج وجعله في أبهى حلة حينما أتم الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) بنفس خامات وأدوات الاستفتاح، فجعل السبب والكيفية التي خرج بها الأولياء من الظلمات إلى النور إنما كانت عن طريق المنحة الإلهية التي وهبها الله للبشر وهي رسوله الكريم (صلى الله عليه وسلم) الذي باتباعه يكون الخروج من الديجور المظلم المعتم، أما عن أعدائه فقد اتبعوا أنفسهم التي أهلكهم بهذا الغرور فقال الغزالي (والصلاة على محمد مخرج الخلائق من الديجور) وكيف يخرج الخلائق من هذه الظلمة سوى بنور يبدد الظلمات ويهتك أستار العتمة وقد تناص الغزالي في ذلك مع قول الله تعالى: (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) ليثبت للرسول أنه النور الذي يبدد الظلمة فما جاءنا إلا رسول الله وهو النور، وكتاب الله الذي بين أيدينا.

_ومثال الذي يستلزم معه معرفة كتب التفاسير وقول العلماء فيها بل وأيضا في أحيان كثيرة يستوجب الأمر معرفة شاملة بالكتب السماوية والإسرائيليات مثل قول الغزالي في كتاب (ذم الغرور) من ربع المهلكات (وإن كان كيسا فيقول للشيطان أتذكرني فضائل العالم وتنسيني ما ورد في العالم الفاجر الذي لا يعمل بعلمه كقوله تعالى: (فمثله كمثل الكلب) وكقوله تعالى :(مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا فأي خزي أعظم من التمثيل بالكلب والحمار؟)[١].

والغزالي حينما ذكر قصة العالم الفاجر وهو(بلعم بن باعوراء)وقد كان من كبار علماء بني إسرائيل وكان يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب ، وعندما أراد نبي الله موسى–عليه السلام–قتال قوم بلعم وكانوا كفارًا وقف (بلعام بن باعوراء) إلى جانب قومه الكفار ضد نبي الله موسى!

كما ذكرته كتب التفاسير في ورود هذه القصة مدللا عليه بقوله تعالى :

(واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث)(سورة الأعراف،١٧٦) فالغزالي قد كان مرجحا لما اختلف فيه المفسرون بالمقصود منه و فيمن نزل بأنه(بلعم بن باعوراء) وهو قول ابن عباس، هذا التناص يحيل القارئ إلى ما ذكرته كتب التفاسير وأيضا كتب الإسرائيليات التي ذكرت القصة تفصيلا واكتفي الغزالي بالإحالة وبيان العبرة والحكم النهائي عليه.

وهذا ما قاله ابن عباس. وهذا التناص يحيل القارئ إلى ما ورد في كتب التفاسير وأيضا كتب الإسرائيليات التي ذكرت القصة بالتفصيل، واكتفى الغزالي

(١) الإحياء ٤٧٨/٢.

بالإحالة وبيان العبرة والحكم النهائي فيها من الله بذكر الآية الأخيرة أن مثله كمثل الكلب، وهذا يتناسب مع ما في الخطاب من ترهيب وتخويف وتنفير، كونه خطابا عن المهلكات.

الخاتمة

في الختام نستطيع التصريح بأن إجراء التناص الداخلي في خطاب الإمام الغزالي كان من أهم الوسائل التي توصلنا لفهم الخطاب وغاياته، والكشف عن الفئة المبتغاة التأثير فيها من المتلقين، لأنه يشير ضمنيا أن متلقيه لا بد من أن يكون واعيا ومطلعا بل ومتبحرا في كتاب الله وسنة رسوله الكريم (صلى الله عليه وسلم)، حتى يتثنى له فهم هذه الإشارات السريعة التي تحيل إلى قصص وحكايات طويلة، ومفصلة، ولها أثر في نفس متلقيه، مذكورة في الكتاب والسنة، أو كتب التفاسير، ويكون بهذا الاطلاع عليها في مصدرها الأول قد وفر وقتا، ومجهودا، وأصبح قادرا على فهم مقصود الخطاب من خلال ربط النص القديم بالجديد، وفهم الرسالة الخفية بين الأسطر، ومن اللافت للنظر أن أكثر من تسعين بالمائة من كتاب الغزالي الذي بين أيدينا عبارة عن استدعاء لنصوص أخرى ممزوجة ومسبوكة مع آراء وأفكار الإمام بشكل بلاغي، يزينه جمال العبارة وسحرها الأثر على النفس .

واعتماد الغزالي على التناص بهذا الشكل الكبير رغبة منه في عدم التكرار من خلال الإحالات الضمنية، والاستفادة الامتصاصية هو ما عمل على تكثيف وعمق خطابه حتى اتهم بالضبابية في حين أنه يخاطب متلقي عصره، وهو يعلم إحاطته الكاملة بالقرآن الكريم؛ لذلك كلما ازداد بعدنا عن الكتاب والسنة المفسرة لكلام الله وتفشى الجهل والانتقاد الهدام لكل ما هو تراثي من كتب التفاسير والشروح والخطابات الدينية، زاد هجومنا على الغزالي واتهام خطابه بأنه ذو طابع أرستقراطي وهو أمر اثبت التطبيق عدم صحته، وساعد إجراء التناص إثباتا أن خطاب الغزالي لا يعاني الانعزالية بل هو تفاعلي حريص على التأثير على المتلقي ودمجه في الخطاب بكل الوسائل وأهمها تلك العلاقات التي يصنعها بين النصوص المتناصة لينسج خطابا يبهر العقول ويمتلك بناصية القلوب من جودة سبكها والله أعلم.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

(أحمد المديني) (في أصول الخطاب النقدي الجديد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٢.(١٩٨٩)

(الحافظ احمد بن حجر العسقلاني) (فتح الباري بشرح صحيح البخاري ،دار طيبة، ط٢٠٠٥م،١٤٢هـ ، كتاب الرقاق)

(تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي) (طبقات الشافعية الكبرى، (ت ٧٧١هـ)،المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار احياء الكتب العربية _القاهرة)

(خليل موسى) (التناص ومرجعياته في نقد ما بعد البنيوية في الغرب، مجلة الآداب العالمية، العدد ١٤٣، اتحاد الكتاب العربي، ٢٠١٠ م)

(خديجه كروش) تناص الخطاب الصوفي والإسلامي في ديوان" أسرار الغربة " لمصطفى الغماري ، رسالة ماجستير ٢٠١٢م،جامعة الحاج لخضر باتنة

(خوله مهدي شاكر) (أنواع الخطاب القرآني بعلم العام والخاص ، محاضرة في جامعة الكوفة، كلية الفقه لنيل الترقية ص٣، دون ت)

(شكري الماضي) (في نظرية الأدب،دار المنتخب العربي، بيروت، ١٩٩٣م)

(عبد العزيز العماري) (المنطق الأرسطي المشائي بين الغزالي وابن تيمية، جداول، بيروت، ٢٠١٨ م، ط ١).

(عبد الله الغذامي) (الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، ، جدة ، النادي الأدبي الثقافي، ١٩٨٠م)

(مارك انجينو) (أصول الخطاب النقدي الجديد، ترجمة: أحمد المديني، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة،١٩٨٧م).

(محمد بن جرير الطبري) (جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر (٢٢٤ – ٣١٠هـ)، تحقيق محمود محمد شاكر، دار التربية، والتراث – مكة المكرمة، دون)

(محمد بن علي بن محمد السنيدي) (التقنيات الحجاجية في رسالة كيمياء السعادة المنسوبة إلى الغزّالي (ت ٥٠٥هـ) ،مجلة كلية الدراسات الاسلامية والعربية، المجلد الثامن والثلاثون إصدار يونيو ٢٠٢٠م

(منذر ذيب) (إشكالية تأصيل الخطاب النقدي العربي التناص أنموذجاً، د. عاصم "محمد أمين" بني عامر، كفافي، جامعة الإسراء/ الأردن)

(منير سلطان) (التضمين والتناص، وصف رسالة الغفران للعالم الآخرنموذجا، الإسكندرية، منشأة المعارف، ، ٢٠٠٤م)

(ناصر جابرشبانة) (التناص القرآني في الشعر العُماني الحديث" ، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، المجلد ٢٠٠٧،٢١م)

(نصيره صوالح) (أسئلة المعني في الكتابة الصوفية ،رسالة دكتوراه ،جامعة ابى بكر بلقايد- تلمسان –الجزائر ،عام ٢٠١١/٢٠١٢م)

الإمام الغزالي ابى حامد محمد بن محمد (إحياء علوم الدين ،القاهرة: مكتبة مصر ،١٩٩٨م)

الغزالي

الزبيـــــــــــدي ت (إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، الزبيدي ، ١٢٠٥هـ): محمد بن طبعة دار الكتب العلمية ، مصر)
محمد الحسيني